

مِنْحَةُ الرَّحْمَنِ

في شَهْرِ رَمَضَانَ

تأليفُ

عبد القادر بن محمّد العمّاري



دار البشائر الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٤٢٧ ٢٠٠٨

الرقم الدولي: (ردمك): ٨ ـ ٨٨ ـ ٦٠ ـ ٩٩٩٢١

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

مِنْحَةُ الرَّحْمَن

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

تأليف
عَبدالقادر بن محمّد العمّاري

دار البشائر الإسلامية



إضاءات

(١)

قال الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(٢)

وقال الباري سبحانه:

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].



(٣)

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

[رواه البخاري ٢/ ٦٧٣ (١٨٠٥) واللفظ له، ومسلم ٢/ ٨٠٦ (١١٥١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

❀ ❀ ❀

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدَّر فهدى، وجعل هذا التقدير من آياته في خلقه، خلق فأحسن، وحكم فعدل؛ قال عز وجل على لسان موسى الكليم عليه السلام، في مواجهة أحد أكبر المجرمين: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(١).

فقد خلق الله جميع المخلوقات بقدرته، ثم هدى الجميع إلى ما يصلحهم وينفعهم. كيف لا! وهو الخالق الرازق المدبر الحكيم، قال عز وجل: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(٢).

وقد اقتضت حكمة الله البالغة، أن يشرع لعباده

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

شهراً في العام، يؤدون فيه عبادةً عظيمةً جليلة، بل هي أحد أركان الإسلام، التي بني عليها الإسلام؛ هذا الدين القيم الذي اختاره الله لعباده، وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه لا يقبل من العباد ديناً إلا هو، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

فمن أراد أن يسلك إلى الله تعالى الطريق المرضي، المفضي إلى رحمته ومرضاته، فلن يجد سوى طريق الإسلام.

فإن كان الإسلام هو طريق الهدى والنور، فمن أكبر علاماته وأركانه: صيام شهر رمضان المبارك، والتقرب منه عز وجل في أحد أعظم مواسم الرحمة والمغفرة.

وقد فهم رسولنا ﷺ هذا المعنى، فظهر اجتهاده في رمضان كله، حيث كان في مسارعته إلى الخيرات أجود من الريح المرسلة[2]، ثم كان يجتهد في العشر

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) روى البخاري ٦/١ (٦) واللفظ له، ومسلم ١٨٠٣/٤ (٢٣٠٨) وغيرهما: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، =

الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره(١).

وقد علَّمنا أن نترقب الليلة المباركة(٢)، التي نزل فيها أعظم كتاب أنزله الله إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجَّماً على الحبيب ﷺ، تثبيتاً لقلبه، وتفصيلاً لبعض الأحكام، وردّاً على الشبهات والأسئلة، التي كانت تطرح عليه بين الحين والآخر، قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٣).

إذن، فشهر رمضان ميزةٌ إسلاميةٌ لكل مسلم، ليعيد تربية نفسه، وكبح جماحها، وتزكيتها بالأعمال الصالحة، فنفسك هي من أعدائك، إن سلمت لها الزمام

= وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة».

(١) روى مسلم ٢/ ٨٣٢ (١١٧٥) وغيره: عن الأسود بن يزيد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره».

(٢) روى البخاري ٢/ ٧١٠ (١٩١٣) واللفظ له، ومسلم ٢/ ٨٢٨ (١١٦٩)، وغيرهما: عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان».

(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٣٢ ـ ٣٣.

قادتك حيث شاءت وحيث أرادت، وهي كذلك بين جنبيك. وحسبك بعدوٍّ مقيمٍ داخلك، يجنح بك كلما سنحت له الفرصة، يدفعه وسواسٌ خناس، إذا غفلتَ عن ذكر الله سبحانه وتعالى وسوس، وإذا ذكرت الله خنس، فهو لا يفتر ولا يكل ولا يمل؛ فحريٌ بك أن تضيِّق عليه مجاريه، التي يجري فيها ومن خلالها، وبالتالي يسهل عليك محاربته بعون الله لك.

وقد كنت كتبت عدة مقالاتٍ تتعلق بشهر رمضان، وما ينبغي علينا فيه، وما ينبغي أن نحذره في صومنا، لنقوم بالعبادة كما أمرنا الله، فاستخرت الله تعالى في جمع تلك المادة في شكل كتيب، فقوَّى الله عزمي، وها هو الآن بين يديك أخي القارئ، عسى الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه.

كما أسأله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يرزقنا حسن الصيام، وحسن القيام، وأن يصلح لنا سائر أعمالنا، وأن يختم بالصالحات الباقيات أعمارنا... آمين

وكتبه

عبد القادر بن محمد العَمَّاري

الدوحة ـ الموافق ٢٠٠٦/١/٦م

أَهْلاً بِشَهْرِ الصَّبْرِ وَالانْتِصَار

أقبل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[١].

أقبل شهر الصبر على المكاره: نمسك فيه عن الأكل والشرب، ونلجم فيه الرغبات عن المباح؛ تطهيراً وتزكيةً للنفوس، وامتثالاً لأمرِ مَنْ نواصينا بيده.

وهو شهر الانتصار، الانتصار على النفس وشهواتها، والانتصار على الشيطان وغوايته، وهو أيضاً شهر انتصار الإسلام على أعدائه، فقد شهد هذا الشهر انتصار الإسلام في معاركه الكبرى ضد الشرك والظلم، ذلك الانتصار الذي غيَّر مجرى التاريخ[٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) فقد وقعت غزوة بدر الكبرى في ١٧ رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان فتح مكة في شهر رمضان أيضاً سنة ثمان. انظر: (تهذيب سيرة ابن هشام ـ لعبد السلام هارون ص: ١٤٦، ٢٤٣).

أقبل شهر رمضان بروحانيته وصفائه، يستقبله المؤمن بفرحٍ وسرورٍ وابتهاجٍ، ويضيق به ذرعاً أهل الكفر والفسوق والعصيان، فيستقبلونه بغضبٍ وانزعاجٍ.

يا له من شهرٍ كريم!! تملأُ الأرضَ في أيامه مواكبُ ملائكة الرحمن، وينادي منادٍ:

«يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر»

إنه موسم الخير، نزرع فيه زادنا ليوم طويلٍ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1].

نصوم فيه عن الأكل والشرب نهاراً كما أمر الله، ويجب أن نصوم كذلك عن الأذى للغير باليد أو باللسان أو بالجنان، ليكون صومنا جديراً بالقبول، ونحظى بالجائزة الكبرى، من المنعم الأعظم جل جلاله.

والمطلوب منا في هذا الشهر الكريم، أن نجتهد في كل أعمال البر والخير، ونجتهد في الصلاة والدعاء، وفي قراءة القرآن، وفي الصدقة على المحتاجين من

(١) سورة عبس، الآية: ٣٤ ـ ٣٧.

الفقراء والمساكين، ممن يستحقون الصدقة، وليسوا أولئك الذين يتصنعون الفقر والحاجة، ويجولون في الشوارع والأحياء، وهم قادرون على الكسب، أو الذين يجمعون الأموال لصرفها في غير مرضاة الله، وليسوا هم الذين يأتون من كل حدبٍ وصوبٍ، يزعمون أنهم قد أصيبوا في أموالهم، أو ركبتهم الديون، أو عندهم مشاريع خيرية هناك، وهي في الواقع مشاريع وهمية، يُقصد بها جمع المال فقط، وهم ليسوا أولئك الذين يسألون الناس إلحافاً، بل هم الذين تحسبهم أغنياء من التعفف.

فالذي يجب على المسلم حتى تكون صدقته في موضعها الذي يرضاه الله، أن يبحث ويتحرى في هذا العصر، الذي كثر فيه الكذابون والمزورون والدجالون.



صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ وَعَدَدُ رَكَعَاتِهَا

من أعظم مميزات رمضان المعظم «صلاة التراويح».

وهي سنةٌ[١] بعد صلاة العشاء، في أول الليل، أو في وسطه، أو في آخره[٢].

وهي إما ثماني ركعاتٍ يضاف إليها الوتر فتكون إحدى عشرة ركعة، أو عشرين ركعةً يضاف إليها الوتر فتكون ثلاثاً وعشرين ركعة[٣].

---

(١) بإجماع العلماء، انظر (المجموع ـ للنووي ٣/ ٥٢٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) قال النووي: «مذاهب العلماء في عدد ركعات التراويح: مذهبنا ـ أي الشافعي ـ أنها عشرون ركعة بعشر تسليمات غير الوتر. . . . وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وأحمد وداود وغيرهم، ونقله القاضي عياض عن جمهور العلماء. وحكي أن الأسود بن يزيد كان يقوم بأربعين ركعة ويوتر بسبع. وقال مالك: التراويح تسع ترويحات، وهي ست وثلاثون ركعة غير الوتر» (المجموع ٣/ ٥٢٨).

وصلاة الوتر إما ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع أو إحدى عشرة(١).

وقد استغربت ما صدر في إحدى الدول الإسلامية، من أمرٍ بوجوب صلاة التراويح في المساجد عشرين ركعةٍ، مع أنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه صلى ثماني ركعات تراويح وثلاث وتراً(٢)، كما ثبت أيضاً أنه كان في أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلون عشرين ركعة(٣).

قال الإمام ابن نجيم الحنفي رحمه الله: «ذكر المحقق في فتح القدير ما حاصله: أن الدليل يقتضي أن تكون السُّنَّة من العشرين ما فعله ﷺ منها ثم تركه خشية أن تكتب علينا، والباقي مستحب، وقد ثبت أن ذلك كان إحدى عشرة ركعة بالوتر، كما ثبت في الصحيحين من

(١) وبه قال الثوري وإسحاق، انظر تفصيل المسألة في (المغني ـ لابن قدامة ١/ ٤٤٨).

(٢) روى البخاري ١/ ٣٨٥ (١٠٩٦)، ومسلم ١/ ٥٠٩ (٧٣٨)، وغيرهما: أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة. . .».

(٣) قال النووي: «رواه البيهقي ـ السنن الكبرى ٢/ ٤٩٦ (٤٣٩٣)، وغيره، بالإسناد الصحيح عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه» (المجموع ٣/ ٥٢٨).

حديث عائشة؛ فإذن، يكون المسنون على أصول مشايخنا (أي الأحناف) ثمانية منها، والمستحب اثنا عشر»[١].

إذن في المسألة سعة، فلا ينبغي إلزام الناس بعددٍ معينٍ. والأولى أنه إذا كانت القراءة طويلة، فلا بأس أن يصلي ثماني ركعات وثلاث وترًا، وإذا كانت خفيفة يصلون عشرين ركعةٍ.

وفي هذه الأمور التعبدية يجب أن نترك الحرية فيها للمسلمين إذا كانوا لا يحدثون بدعة وكان في النصوص مجال للآراء المختلفة، والأولى أن تخصص مساجد للذين يريدون صلاة ثماني ركعات، ومساجد للذين يريدون أن يصلوا عشرين ركعة.

والمسألة عبادة، فلا داعي لأن يفرض أحدٌ رأيه على المسلمين، خاصة ونحن ننشد الحرية ونتحدث بها في أمورٍ كثيرةٍ، فعلى الأقل يجب أن يكون للمسلمين الحرية في عبادتهم، ما داموا متقيدين بالنصوص الشرعية، فلا تفرض عليهم مذاهب معينة، ولا اتباع آراء أشخاص معينين.

---

(١) البحر الرائق (٢/ ٧٣).

فالذي ينبغي أن نفعله بخصوص العبادات، أن نمنع البدع والخرافات التي ألصقت بها، أما كون أن هذا يريد أن يصلي التراويح ثماني ركعات، وهذا يريد أن يصلي عشرين، فلا يجوز أن نمنع أياً منهما.



شَهْرُ رَمَضَانَ فُرْصَةٌ نَادِرَة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

بحلول شهر رمضان ترق قلوب المؤمنين، وتنشرح صدورهم، فيخلع المؤمن نفسه من حياةٍ ماديةٍ إلى حياةٍ روحيةٍ مضيئةٍ، فتسمو في رمضان روحه، وتطهر نفسه من أكدار الدنيا وهمومها، ويتطلع إلى سعادةٍ أبديةٍ، ليس فيها شقاء؛ فهو يلجم نفسه عن شهوات الدنيا وملذاتها، بمحض اختياره، طمعاً فيما عند الله، مما أعدَّه لعباده المتقين المنيبين إليه، والخاضعين له، الراجين عفوه، والخائفين من عقابه. فهو يصوم عن الأكل والشرب والجماع كما أمر الله، ويصوم أيضاً عن إيذاء الناس، وعن فحش القول ومنكر الفعل، الذي هو الهدف الأسمى للصيام.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

فشهر رمضان شهر تربية، ودورة يدخلها المسلم بعد كل سنة يجدد فيها روحه، ويقوّي فيها عزيمته، ويصقل نفسه ويهذبها، وينشط فيها دوافع الخير، لتتغلب على دوافع الشر، فهو يحيي ضمير المسلم ويوقظه، ويجعل قلبه متعلقاً بالله، ويذهب عنه الغلظة والقسوة، ويعمره بالرحمة واللطف والمودة والعدل ومحبة الحق: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

❀ ❀ ❀

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.

رَمَضَانُ شَهْرُ التَّوْبَة

يتجه المسلم في هذا الشهر الكريم إلى مولاه بطلب المغفرة، ويسأله الجنة، ويستعيذ به من النار، ويتوب إليه من الذنوب التي اقترفها في ماضيه، فإنه بشرٌ معرضٌ للخطأ والزلل، ويقول كما قال أبواه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

فاستمع إليهما ربهما وقبل توبتهما، كما قال عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2].

فاللَّه رحمته واسعة، وفضله عظيم، فلا يكون مجرد الوقوع في الذنب حائلاً بين العبد وبين سموِّ روحه، وقربه من الله؛ فإذا غفل العبد وتذكر وأناب إلى ربه بالتوبة، فهو من المتقين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

فيكفي المسلم أن يعرف أنه إذا وقع في المعصية، وتذكر غضب الله عليه؛ فطهر نفسه، ورجع إليه راجياً عفوه، مصمماً على عدم معاودة الذنوب والمعاصي[١]، فهو من المتقين.

والمتقون جعلهم القرآن قسمين في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[٢].

---

(١) قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب.
فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي؛ فلها ثلاثة شروط: **أحدها**: أن يقلع عن المعصية. **والثاني**: أن يندم على فعلها. **والثالث**: أن يعزم ألا يعود إليها أبداً. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.
وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي، فشروطها أربعة: **هذه الثلاثة**. **وأن يبرأ من حق صاحبها**، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذفٍ ونحوه مكنه منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها. (رياض الصالحين ـ للنووي ١٧).

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٥.

ثم جمعهم الله في الجزاء والرضا والنعيم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1].

فليبادر المسلم إلى اغتنام فرصة رمضان الكريم، فإنه لا يدري هل يعيش إلى رمضان القادم أم لا: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

تزود من التقوى فإنك لا تدري
إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجر؟
فكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ
وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهر
وكم من فتىً يمسي ويصبح لاهياً
وقد نُسِجت أكفانه وهو لا يدري؟



(١) سورة آل عمرن، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١١.

شَهْرُ الْمَغْفِرَةِ وَالإِحْسَان

جعل الله شهر رمضان لعباده المؤمنين مناسبةً وموسماً، يضاعفون فيه من حسناتهم، ويتخففون من ذنوبهم وأوزارهم، إذا هم أقبلوا عليه بالطاعة من صومٍ وصلاةٍ وصدقةٍ واعتكافٍ ونحوها، وتحلوا بالتسامح وعفة اللسان وعمل المعروف.

فكما خص الله هذا الشهر بنزول القرآن فيه، وبدء الوحي الإلهي وتنزيله على رسوله عليه الصلاة والسلام[1]، فقد جعله أيضاً علامةً بارزةً للتمسك بهذا الوحي وقراءته، والتمعن فيه، وفي أسراره ومعانيه، ويتزود منه المسلم بكل معاني الصلاح والتقوى، وشحن الروح بالطاقة الإيمانية، التي تدفعه للسير بقوةٍ ونشاطٍ على النهج السليم، فلا تتفرق به السبل، ولا ينحرف عن الهدف السامي الذي رسمه لنفسه في دنياه وأخراه.

---

(١) انظر (تهذيب سيرة ابن هشام ـ عبد السلام هارون ص: ٥١).

لذلك علينا أن نسارع إلى اغتنام هذه الفرصة، التي قد لا تسنح للإنسان في مستقبل حياته؛ فالإنسان لا يعرف متى سينتهي أجله[1]، وماذا يحدث له في المستقبل؛ لذلك حثه القرآن على المسارعة إلى التوبة والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[2].

---

(١) قال بعض الشعراء:

إذا هبت رياحك فاغتنمها
فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها
فما تدري السكون متى يكون

(تفسير القرطبي ٥/ ٣٨٤).

(٢) سورة آل عمرن، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦.

ونلاحظ في هذه الآيات كل صفات المتقين، التي يجب أن يتحلى بها كل مسلمٍ في مسيرة حياته كلها، وعلى المقصِّر أن يغتنم هذه المَناسبة ليسارع إلى الأخذ بها؛ فالإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان في الأمور كلها، والرجوع إلى الله والالتجاء إليه وحده، والاستغفار من الذنوب والفواحش والظلم، وعدم الإصرار على فعل الخطايا، كل هذه الصفات والأعمال جزاؤها عند الله المغفرة، والفوز بالجنات، والخلود فيها، مع النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ولعل مد يد العون ومساعدة ضحايا الكوارث الذين أصابتهم الضراء، من أَجَلِّ الأعمال عند الله.

ولقد قيَّض الله في هذه السنين رجالاً من الدالِّين على الخير والساعين فيه، كوَّنوا هيئاتٍ ومنظماتٍ إسلاميةٍ، تقوم بإيصال المساعدات إلى المتضررين والمحتاجين، في مشارق الأرض ومغاربها من بلاد المسلمين، وقد أثبتوا أنهم من أنزه الناس وأخلصهم، فليطمئن المسلم في وصول صدقته إلى محلها، إذ الناس في هذا العصر قلَّ لديهم أهل الدين والنزاهة، وكثر المتكالبون على الدنيا، فيوجد من الناس من لا يهمهم

إلا ملء جيوبهم من حلالٍ أو حرامٍ، ولو أتيحت لهم الفرصة لسرقوا الكحل من العيون، وهناك التسيب والفوضى في بلدان العالم الثالث، لا تجعل الإنسان يطمئن فيها إلى إيصال الحقوق إلى أربابها.

ومن هنا تنادى الرجال المخلصون، فتكونت منظمة الدعوة الإسلامية، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وجمعية قطر الخيرية، وجمعية عيد الخيرية بقطر، والجمعيات الخيرية بالإمارات، وقد قاموا بجمع التبرعات من المحسنين، وأوصلوها إلى كل صقعٍ من بلاد المسلمين، فأقاموا المشاريع الإنسانية، وساعدوا المتضررين من المجاعة والكوارث الطبيعية، فنحن نطالب هذه المنظمات الآن بمضاعفة نشاطها في سبيل جمع التبرعات، وتقديم المساعدات للمسلمين.

ولابد أن نتذكر في هذا الشهر الكريم إخواناً لنا، يحاربون قوى غاشمة ومتغطرسة حول بيت المقدس، فما يقوم به أولئك الأبطال، من الشباب والأطفال والنسوة والشيوخ، إنما هو جهادٌ في سبيل الله، فعلينا أن نقف بجانبهم بكل مساعدةٍ ليستمر هذا الجهاد المبارك.

ولا بد أن نتذكر أيضاً إخواناً لنا يقاتلون في سبيل الله في أنحاء شتى من الأرض، يناضلون البغاة الطغاة،

يجب أن نقف إلى جانب أولئك المجاهدين، الذين أعادوا لنا سيرة الصحابة والتابعين في جهادهم، ورفعوا معنويات المسلمين، لأجل إقامة حكم الله في الأرض، وصد العدوان عن الإسلام والمسلمين، فيجب أن نمد لهم يد العون، وأن نساعد الآلاف من اللاجئين الجرحى والمعوقين والأيتام والأرامل، فكل هؤلاء في حاجة إلى مساعدة إخوانهم، ومد يد العون لهم بلا كلل ولا ملل، فالأمة جسدٌ واحدٌ، فعلينا أن نهتم بهذا الجسد ففيه صلاح الدين والدنيا.



لِمَاذَا نَصُوم؟

الصيام من العبادات التي فرضها الله على عباده المؤمنين، تهذب بها نفوسهم، وينالوا عند الله الجزاء الأوفى؛ قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

والعبادات التي فرضها الله، جميعها تتناسب مع طبيعة البشر، ليس فيها عنتٌ ولا تشديدٌ، ولا يقصد بها الإرهاق والعذاب: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٢].

وهو سبحانه وتعالى أرحم بعبده من الوالدة بولدها الرضيع، فلا يكلفه إلا في حدود طاقته: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

والتكاليف جميعها قد فرضت على العباد لمصلحتهم خاصة، فلا تنفعه عز وجل عبادتهم، ولا تضره معصيتهم. والناس يتفاوتون في عبادتهم بمقدار قربهم منه جل وعلا، وإخلاصهم له؛ فمنهم من يؤدي ما عليه من عبادات امتثالاً لأمر ربه، وطمعاً فيما وعد به عباده الصالحين، من جناتٍ عرضها السماوات والأرض، وخوفاً من عذابه وعقابه، في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونٌ، وهذا هو صدق الإيمان، وكمال الإخلاص لله تعالى.

فأجل مقامات الإحسان في شرع الإسلام هي الحب والخوف والرجاء[1]؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]، أي إنما ينال الرحمة: من دعاه خوفاً وطمعاً ـ وهو المحسن ـ، والرحمة قريبٌ منه. وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[3].

وقد بين الله لنا عبادةَ صفوةِ خلقه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟

---

(١) قال ابن تيمية: «محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء». (مجموع الفتاوى ١/ ٩٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[١]. فالخوف والرجاء يعصمان النفس عن إتباع هواها[٢]؛ إذ مجرد الحب ـ من غير خوفٍ ولا رجاءٍ ـ يبعث في النفس إتباع الهوى[٣].

ومن الناس من يؤدي الصيام كتقليدٍ ومسايرةٍ للمجتمع، وهؤلاء اتخذوا العبادة عادة، لا روح فيها ولا هدف لها، وقد تمر سنةٌ كاملةٌ، ولم يركعوا لله ركعةً، وأمثال هؤلاء يدخلون في نطاق المسلمين الجغرافيين، يحسبون عند الإحصاء في هذه الدنيا من المسلمين، ولكنهم عند الله من الخاسرين الضالين: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) يقول ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٧٢): «لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات»، «ولذا قيل: الخوف والرجاء كالجناحين للسير إلى الله تعالى؛ فلا يمكن السير إلا بهما» انظر (فيض القدير ـ للمناوي ٢/ ٧٠).

(٣) وكان بعض السلف يقول: «من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن» (التخويف من النار ـ لابن رجب / ٢٩).

﴿ٱلْبَعِيدُ﴾[١]؛ فلا يرون لصيامهم أثراً من ثوابٍ، ولا فائدةً نافعةً، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، موافقاً لشريعته.

وقال العلماء: «إن في تشبيه أعمال هؤلاء بالرماد سرٌّ بديعٌ، وذلك للتشابه بين أعمالهم وبين الرماد، في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة للنار، وبها تسعَّر النار على أصحابها، وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً، كما ينشأ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه ـ التي هي خالصة لوجهه ـ من أعمالهم نعيماً وروحاً، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً»[٢].

ولكن أولئك الذين أغواهم الشيطان في سابق عهدهم، ولم يوفقوا للقيام بحقوق الله عليهم من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، واقترفوا من المعاصي والمخالفات، ما استحقوا به غضب الله، أمامهم الفرصة سانحة، وقد فتحت السماء أبوابها:

«يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر»

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٢) قاله ابن قيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين ١/ ١٧١).

فرحمة الله واسعة، وباب التوبة مفتوح، فهو غافر الذنب وقابل التوب، وكما جاء في الحديث الشريف: «والله، للَّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة...»[(١)].

فانظر كيف يفرح الإنسان إذا وجد ضالته العزيزة عليه - التي هي أمله وهي مستقبله وهي حياته - قد فقدها، فلا يدري ماذا يصنع، ثم وجدها أمامه!!

تصور فرحة هذا الرجل كيف تكون؟

فالله سبحانه وتعالى - وله المثل الأعلى - أفرح بتوبة عبده، من هذا الرجل الذي وجد ضالته.

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٢)].



(١) رواه البخاري ٥/ ٢٣٢٥ (٥٩٥٠) من حديث أنس ﷺ، ومسلم ٤/ ٢١٠٢ (٢٦٧٥) واللفظ له، من حديث أبي هريرة ﷺ وغيرهما.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

لقد اضطربت أعصاب الإنسان في هذا العصر، وتعرضت لضغوطٍ قويةٍ، نتيجة لما يسود هذا العالم من اضطرابٍ، وأحداثٍ جسيمةٍ هو سببها، ولكنه فقد السيطرة عليها، فكان في حاجةٍ ماسَّةٍ لأن تهدأ أعصابه، ليفكر التفكير الإنساني السليم، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان القلب مفعماً بالإيمان، فيلهمه الله العزم على السير الصحيح، وهو طريق الهداية والخير، فيستجيب لدعوة الله في فاتحة الكتاب: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1].

ولن يكون ذلك سهلاً أو متيسراً، إلا في جوٍّ تصفو فيه الروح، وتنعم بالقرب من الله، فتتهيأ للنفس الفرصة لتمتلئ حبًّا للناس، فينتشر هذا الحب في محيط الإنسانية كلها، لأن التفكير الذي يسمو إلى التقرب من الله، هو

---

(١) سورة الفاتحة، الآيات: ٦ ـ ٧.

الذي يفعل الخير، ويبتعد عن الشرور والآثام.

وفي شهر رمضان المعظم الذي يوجد فيه جوٌّ مليءٌ بالعبادة والإيمان، والعظة والقول الطيب، تتهيأ فرصة للنفوس الشاردة، كي ترجع إلى حظيرة الخير والإيمان، حتى يهجر الخاطئون طريق الغواية والضلال، ويقلع المسرفون على أنفسهم من إسرافهم، وينسى ذوو الأمراض العصبية أوهامهم، وتكون هناك ـ لمن وفقهم الله ـ توبةً نصوحاً لا رجعة فيها، لتتجلى انتصارات الإرادة على الشهوات والمغريات والنزعات الشريرة.

وهذه الفرصة التي هيأها شهر رمضان للمسلم، هي التي عبر عنها الحديث الشريف الصحيح: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار. وذلك كل ليلة»[1].

---

(١) رواه الترمذي ٣/ ٦٦ (٦٨٢) واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه ٨/ ٢٢١ (٣٤٣٥)، والحاكم ١/ ٥٨٢ (١٥٣٢) وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال المنذري: «قال الترمذي: حديث غريب، ورواه النسائي والحاكم بنحو =

والإنسان في حاجةٍ دائمةٍ إلى مقاومة شهواته، والناس يتفاوتون فيها، بل تتفاوت أحوال الشخص الواحد، إذ قد يستطيع العاقل ترك بعض الشهوات دون بعض؛ فإن الشاب قد لا يترك الزنا، لكنه إذا كبر وتم عقله تركه، غير أن الصيام يساعد في كبح جماح شهوته، لأنه يجعله يعيش في جوٍّ يسمو بروحه وفكره، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١].

وشهوة الرياء والرئاسة تزداد قوةً مع كبر السن، والعلم بأضرار الشهوات يساعد على مقاومتها، ولهذا يستطيع الطبيب الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة لعلمه بضررها. وقد يكون العاقل ـ غير العالم ـ يقدر الضرر قبل الطبيب، لكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد، فيكون الخوف حافزاً للعقل، وهدفاً في قمع الشهوات وكسرها.

= هذا اللفظ، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما» (الترغيب والترهيب ٢/ ٥٩).

(١) رواه البخاري ٥/ ١٩٥٠ (٤٧٧٩)، ومسلم ٢/ ١٠١٨ (١٤٠٠) واللفظ له، وغيرهما، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والعلماء الحقيقيون أقدر على ترك المعاصي، بقوة علمهم بضررها، ولا يخفى أن العلم يقوي غريزة العقل، وإذا قويت هذه الغريزة يكون قمعها للشهوة أشد؛ ولذلك ينبغي الإكثار من دروس العلم، وقراءة القرآن في شهر رمضان، لتكون التجربة العملية مرتبطة بالعلم النظري، فتترسخ القوة الإيمانية، وتقوى وتصمد أمام كل الفتن والزوابع، التي تزلزل كيان المؤمن.

ومن هذا نعرف حكمة اشتراط علمنا بخيرية الصيام وفائدته، وما يعود به علينا من نفع، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وإذا كان الهدف من الصيام هو التقوى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]؛ فـإن التقوى الصحيحة تكون مبنيةً على علمٍ صحيحٍ بما أمر الله ورسوله به، وحذَّر منه.

والعبادة على غير علمٍ يكون صاحبها كمن يحرث

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

في البحر، لا تنفعه لا في دنياه ولا في أخراه[1]، بل تقوده إلى الهاوية!! والجهل يقود إلى الغلو في الدين، والابتداع فيه بما لم يأذن به الله.

والمعروف، أن دين الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، لم يفرض الصيام رغبةً منه في قمع الغرائز، وفرْض الرهبانية على الحياة!!

ويخطئ من يظن أنه كلما أمعن المسلم في إجهاد نفسه، وكلما طالت فترة الامتناع عن الأكل والشرب والشهوات، كلما كان أقرب إلى الله وأحب إليه!! إن ذلك هو شأن المغالين من الأمم السابقة، فقد غلوا في العبادات، وفي الصوم خاصة، فأطالوا مدة الإمساك عن الطعام والشراب، وأخروا الفطور، وتركوا السحور، أو واصلوا في الصوم، وواصلوا الليل بالنهار!!

---

(١) لأن الله تعالى أوجب علينا معرفة ما نحتاج إليه لمباشرة أسبابه من شرائع الدين وأحكامه ـ كالعبادات وصحيح المعاملات ـ إيجاباً عينياً لا رخصة في تركه، فصحة العمل متوقفة على العلم بها، فكان العمل بدون العلم غير صحيح، قال ابن رسلان في (صفوة الزبد):

وكلُّ من بغير علم يعملُ
أعمالُه مردودةٌ لا تقبلُ

انظر (فتح المنان ـ لمحمد بن علي بن محسن ص: ٢١).

ولذلك حذر الإسلام من الوصال[١]، وورد في استحباب السحور قوله عليه الصلاة والسلام: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر»[٢]، وحذر من تأخير الفطر، وجعل هذا التأخير عنواناً للفساد، فقال ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[٣]، **وكلُّ ذلك سداً للذرائع، والغلو والتعمق في التدين.**

---

(١) روى البخاري ٢/ ٦٩٣ (١٨٦١) واللفظ له، ومسلم ٢/ ٧٧٤ (١١٠٢)، وغيرهما: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال، قالوا: إنك تواصل! قال: «إني لست مثلكم، إني أُطْعَمُ وأُسقَى».

(٢) رواه مسلم (٢/ ٧٧٠، ١٠٩٦)، وغيره، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال النووي في (شرحه على صحيح مسلم ٧/ ٢٠٧): «معناه: الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم: السحور؛ فإنهم لا يتسحرون، ونحن يستحب لنا السحور».

(٣) رواه البخاري ٢/ ٦٢٩ (١٨٥٦)، ومسلم ٢/ ٧٧١ (١٠٩٨)، وغيرهما، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، قال ابن حجر العسقلاني: «زاد أبو هريرة في حديثه: «لأن اليهود والنصارى يؤخرون»، أخرجه أبو داود وابن خزيمة وغيرهما، وتأخير أهل الكتاب له أمد وهو ظهور النجوم» (فتح الباري ٤/ ١٩٩). وقال النووي: «فيه الحث على تعجيله بعد تحقق غروب الشمس، ومعناه: لا يزال أمر الأمة منتظماً وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فسادٍ يقعون فيه» (شرح صحيح مسلم ٧/ ٢٠٨).

ومع هذا؛ فإن الله قد جعل ثواب الصبر على الصوم فوق قانون التقدير والحساب، قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «الصوم نصف الصبر»(٢)، وقال الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).



(١) رواه البخاري ٢/ ٦٧٣ (١٨٠٥)، ومسلم ٢/ ٨٠٧ (١١٥١) واللفظ له، وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث، رواه الترمذي ٥/ ٥٣٦ (٣٥١٩)، وأحمد ٤/ ٢٦٠ (١٨٣١٣)، وغيرهما، من حديث رجل من بني سليم رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال المناوي ـ في (فيض القدير ٤/ ٨٥) ـ: «عن رجل من بني سليم من الصحابة، وإبهامه لا يضر؛ فإنهم كلهم عدول، رمز المصنف ـ أي السيوطي ـ لصحته».

(٣) سورة الزمر، الآية ١٠، قال القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٤١): «والصابرون هنا: الصائمون، دليله: قوله عليه الصلاة والسلام: «الصوم لي، وأنا أجزي به» قال أهل العلم: كل أجر يكال كيلاً، ويوزن وزناً، إلا الصوم فإنه يحثا حثواً ويغرف غرفاً».

رَمَضَانُ مِيزَةٌ إِسْلَامِيَّةَ

الصيام عبادةٌ قديمةٌ، فرضها الله على أهل الأديان جميعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(١).

ولكن خص الأمة الإسلامية بصيام شهر رمضان المعظم، تكريماً لهذا الشهر، لنزول القرآن فيه، يقول الله جل جلاله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾(٢).

وإذا صام المسلم هذا الشهر بنيةٍ صادقةٍ، وأحسن القيام بواجباته، امتثالاً لأمر الله تعالى، واقتداءً برسوله ﷺ؛ فقد نال الأجر العظيم من الله، واستحق

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

المغفرة منه؛ لأنه قد منع عن نفسه شهواتها، وصبر على الجوع والعطش ابتغاء مرضات الله، رغبةً فيما عنده، ورهبةً منه، لا رقيب عليه غير الله، ولا محاسب له سواه.

قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ؛ قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به؛ يدع شهوته وطعامه من أجلي»[١].

وفي الحديث النبوي الشريف: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

أما الذي يصوم اتباعاً للعادةِ، وموافقةً للناس؛ فليس له من صيامه إلا الجوع والعطش. والذي لا يمتنع عن قول الزور ولا عن الخصام، فذلك هو المحروم، لذلك يقول الرسول ﷺ: «رب صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر»[٣].

---

(١) سبق تخريجه صفحة (٤٣) حاشية (١).

(٢) رواه البخاري ١/ ٢٢ (٣٨)، ومسلم ١/ ٥٢٣ (٧٦٠)، وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن ماجة ١/ ٥٣٩ (١٦٠٩٠)، واللفظ له، وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٢٤٢ (١٩٩٧)، وابن حبان ٨/ ٢٥٧ (٣٤٨١)، والحاكم ١/ ٥٩٦ (١٥٧١)، وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط =

وفي حديثٍ آخر: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس للَّه حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»(١).

وفي آخر: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤٌ صائم»(٢).

وهذه الأحاديث تؤكد لنا ما جاء في الآية الكريمة، من بيان سبب فرض الصيام على المسلمين: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

فالهدف إذن هو التقوى بمعناها الكلي.

فالصيام ما هو إلا تربيةٌ نفسيةٌ، وعلاجٌ للنفس المسيطرة على نوازع الشر، ونداء الشهوة في الإنسان.

وليس الصيام لمجرد المشقة والحرمان من الطعام والشراب، ولا القسوة على النفس.

= البخاري ولم يخرجاه»، وقال المناوي في (فيض القدير ٤/١٦): «قال الحافظ العراقي: إسناده حسن، وقال تلميذه الهيثمي: رجاله موثقون».

(١) رواه البخاري ٢/ ٦٧٣ (١٨٠٤)، وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري ٢/ ٦٧٣ (١٨٠٥) واللفظ له، ومسلم ٢/ ٨٠٦ (١١٥١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا امتنع الإنسان عن تناول الطعام والشراب نهاراً طيلة هذا الشهر، ممتثلاً لأمر مولاه ـ ولا رقيب عليه غيره ـ؛ قويت إرادته، وصدقت عزيمته، وتغلب على غريزته وشهوته، وانبعث في نفسه الضمير الحي، والوازع الخلقي.

فللصوم إذن ارتباط بعلاقة الإنسان بالآخرين في هذه الحياة، فلا يكون لسانه سليطاً عليهم بالخصام وقول الزور، ولا يكون مترفعاً ومتعالياً عليهم، ولا يسعى إلى الرياء والمظاهر الفارغة، ولا مانعاً خيره عن الفقراء والمساكين، بذلك يحقق الصوم الصحيح، الذي أراده الله تعالى، والذي يثيب عليه بالثواب المذكور.



الْهَدَفُ مِنَ الصِّيَام

بعض الناس يصوم شهر رمضان، لا باعتباره عبادة فرضها الله تطهيراً للنفس والضمير، ولكن باعتباره تقليدًا وعادةً سنويةً، يحرص فيها على ألذ أنواع الطعام والشراب والإكثار من السهرات، أكثر من حرصه على أداء العبادة على وجهها الصحيح.

وهذا الشخص الذي يسلك هذا المسلك ـ وإن كان مسلماً ـ ولكنه مسلم بالوراثة، أو ما يسمى بالمسلم الجغرافي، فهو يفعل ذلك لأنه وجد في مجتمع من المسلمين، وفي منطقة إسلامية.

ولكن المسلم الحقيقي هو الذي يؤدي العبادة امتثالاً لأمر الله أولاً، ثم يضاعف نشاطه فيها بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن والصدقة، والتحرز من الوقوع في أعراض الناس، والابتعاد عن الغضب والجدل، فتنعكس هذه العبادة على تصرفات المسلم في الحياة،

بتأثيرها على سلوكه، فتعمر قلبه بالإيمان والإخلاص، والشعور بآلام الآخرين ومآسيهم، وتسيطر دائماً روح التقوى التي هي الغاية العظيمة من فرض الصيام، كما في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

فالتقوى هي الأساس، وهي الهدف وهي الغاية من العبادات كلها، قال جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

فالتقوى إذن هي الحساسية في الضمير، والشفافية في الشعور، والخشية الدائمة من الوقوع في الرذائل والمهاوي، ولذلك عندما سأل عمرُ رضي الله عنه أُبيَّ ابن كعب رضي الله عنه عن التقوى، قال له أُبَيّ: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما فعلت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤١): وقد قيل: إن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سأل أُبَيّ... =

فالتقوى هي الكفيلة ـ إذا غلبت في أفراد المجتمع ـ أن يخلو هذا المجتمع من الأشواك والمعوقات؛ فإذا كان كل فردٍ يتقي الأشواك ويحذرها، فلن تجد ظلماً ولا أنانيةً ولا جشعاً ولا طمعاً ولا اتكاليةً ولا خضوعاً لغير الله تعالى، وهي الملجأ الآمن للإنسان في حياته كلها: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾(١).

ومما قيل في سبب نزول هذه الآية؛ أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابناً له يُسمَّى سالماً، فجاء ـ عوف ـ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو، وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال عليه

= وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال:

خلِّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق ... أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرةً ... إن الجبال من الحصى

وانظر (شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٤٦٥).

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢ ـ ٣.

الصلاة السلام: «اتق الله واصبر وآمرك وإياها أن تكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله»، فعاد إلى بيته، وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به. فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وإبلهم، فكانت أربعة آلاف شاةٍ وخمسين بعيراً، فأفلت من الأسر، ورزقه الله هذه الثروة غنيمة وكان فقيراً[١].

قال بعض العلماء: «إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[٢]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٣]، ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾[٤]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٧٢٧ (١٩٩٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، قال الشوكاني: «وضعفه الذهبي... وفي الباب روايات تشهد لهذا» (فتح القدير ٥/ ٣٤٠).

(٢) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٧.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١)، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾(٣).

فيلاحظ أن القرآن بعد الأمر والنهي يعقب بطلب التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

فما أحوج المسلمين أفراداً وجماعاتٍ وشعوباً وحكوماتٍ في ظروفهم الحالية إلى تقوى الله، حتى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
والخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) عن أبي العالية، وانظر (الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٨١) فقد ذكره عن أبي العالية، وذكر قوله «وتصديق ذلك في كتاب الله...» من كلام الربيع.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤ ـ ٥.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

يجعل لهم مخرجاً، وييسر أمورهم، وينصرهم على عدوهم.

فشهر رمضان: يذكّرنا بأن أعظم الغزوات الإسلامية، التي غيرت وجه التاريخ، ورفعت راية الإسلام كانت فيه. **ويذكرنا** بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أنزل القرآن فيه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(١).

ألا يستدعينا ذلك أن نتذكر ما جاء في هذا القرآن، من توجيهاتٍ ساميةٍ من الله، الذي يعلم سرنا وجهرنا، ويرشدنا إلى معرفة ما يضرنا لاجتنابه، ومعرفة ما يصلحنا للأخذ به.

ومما وجهنا إليه القرآن وأمرنا به: هو الاعتصام بحبل الله والوحدة، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾(٢).

وأمرنا أن لا نسكت على الظلم، ولا نترك المظلومين والمستضعفين يتعرضون للظلم والاضطهاد،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ونحن مشغولون بالخلافات الجانبية، ولا نستطيع أن نحل مشاكلنا بالعدل والحكمة، بل والبعض يقاتلون في سبيل الطواغيت، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(٢).

أنزل الله القرآن وسماه الفرقان، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٣)، لأنه

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) سورة الحج، الآيات: ٣٩ ـ ٤١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

يفرق بين الحق والباطل، فهو الحكم العدل، والقول الفصل بين كل متنازعين.

والذين يرفضون أن يكون القرآن حكماً بينهم، هم الكافرون والمنافقون، يقولون عن القرآن أساطير الأولين، ولا يناسب أوضاعهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ويعلم من خلق؛ قد شرع أحكاماً، وليس للإنسان مهما تكن مكانته، ومهما نال من علم، أن يغير فيما شرعه الله لعباده؛ والذين يحاولون صد النّاس عن الحكم بما أنزل الله، ويعادون دعوات الرسل، وجعلوا من أنفسهم أعداءً للأديان، هم موجودون في كل عصرٍ من عصور التاريخ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[2]، فالذين صدوا عن القرآن وهجروه، هم الأعداءُ وهم المجرمون.

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٤ ـ ٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣١.

ولكن هناك من المؤمنين من سخرهم الله لدينه، يجاهدون في سبيله، ويتصدون لأعدائه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]. هؤلاء المحسنون الذين هداهم الله إلى سبيل الحق، جاهدوا في سبيل الله، وتصدوا لأعداء الإسلام في كل الميادين، فهؤلاء يصومون شهر رمضان، ويعرفون أن الهدف من الصيام هو التقوى.

ولكن بعض الناس ـ مع الأسف ـ يصومون رمضان تقليداً وعادةً ـ إن صاموا ـ ، وإلا فأعمالهم وأفكارهم تدل على أنهم لا يؤمنون بصيامٍ ولا بصلاةٍ ولا زكاةٍ، ويدَّعون معرفة الإسلام، ويتظاهرون أنهم مع الإسلام، كيف يؤمن بالدين من يدعي أنه يؤمن بالدين، ويدعو إلى إلغاء أحكام الدين، بحجة الحرية في الاجتهاد، فهو يدعو إلى الاجتهاد مع النص، وإلى إنكار ما علم من الدين بالضرورة، فمثل هذا ـ وإن صام ـ فإنه لن يحقق الهدف من الصيام، نسأل الله لهم الهداية.



(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾

إذا كانت هناك فوائد صحية للجسم تعود عليه من الصيام ـ كما هو معروف ـ فإن هناك فوائد معنوية يعم نفعها على الفرد والمجتمع.

فالمسلم عندما يصوم إنما يمارس رياضة في الأخلاق والضمير والحس والذوق، ويتدرب على مقاومة المغريات والشهوات والأهواء، وكل ما يؤدي بالإنسان والمجتمع إلى الفساد.

فمن حِكَم الصيام: التدرب على حمل الأمانة ومشاقها، فهي لكبرها وعظم مسئولياتها تتطلب تدريباً مستمراً على تحملها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

فالإنسان يستطيع أن يغلق على نفسه حجرته،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

ويأكل ويشرب بعيداً عن أعين الناس، ثم يخرج إليهم ويتظاهر أنه صائم، ففي هذه الحالة يكون هذا الإنسان قد سقط في الامتحان، ولم يعد يصلح لتحمل الأمانة.

وقد يخدع الناس فترةً من الزمن بما يظهره أمامهم، من تصنُّعٍ للصلاح والورع، ولكن لن يطول به الزمن حتى ينكشف ويظهر على حقيقته، لأن حبل الكذب قصير، فينزع الناس ثقتهم منه، ويعيش مذموماً مدحوراً، هذا بالنسبة للناس. أما بالنسبة لربه الذي لا تخفى عليه خافية، والذي يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويسمع ويرى دبيب النملة السوداء في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فأين يذهب منه؟.

وهذا الذي يخون أمانة الصوم، والذي سولت له نفسه أن يغلق على نفسه حجرةً ويأكل ويشرب، ستسول له نفسه الأمارة بالسوء أن يتسلم رشوةً مغريةً، تضعف أمامها نفسه في حجرةٍ مغلقةٍ كذلك؛ لأنه لم يعود نفسه على الصمود أمام المغريات والشهوات، وهو أيضاً عندما تحين له الفرصة لاقتطاع جزء من المال العام أو سرقته، يكون ضميره قد مات، ويتصور أن أحداً لن يحاسبه لأنه لم يدرب ضميره، ولم يحيه لمراقبة الله.

وعبادة الصوم لأنها عبادة لا يراها أحدٌ من الناس، فهي تدرب أيضاً على الإخلاص، والابتعاد عن الرياء والنفاق، وهذان المرضان الرياء والنفاق من آفات المجتمع؛ فالمسلم إذا راقب الله وحده في امتناعه عن الأكل والشرب، لا بد أن يكون مخلصاً في كل عملٍ يقوم به، ولا يقصد بعمله الرياء والسمعة، ولا ينافق ولا يجامل على حساب الحق.

فالصوم سرٌّ بين العبد وربه، فلا يدخله الرياء فهو يمسك عن شهواته شهراً كاملاً، ابتغاء وجه الله وحده لا رقيب عليه سواه، ويعلم أن الله هو المطلع عليه وحده في سره وعلانيته، فيستحي من الله، ويخشى أن يراه غاشاً مخادعاً كذاباً منافقاً، لا يقول كلمة الحق، ولا يشهد شهادة الصدق.

ولذلك تدرب أصحاب محمد ﷺ بصيامهم على الصمود، ومقارعة الأهوال، وقد كانوا يصومون بالنهار، وإفطارهم مع الغروب على التمر والماء من رزقٍ حلالٍ، لا موائد تمتد، ولا بطون تملأ باللحوم والمشويات، والفراخ المحمرة، وعصير العنب والبرتقال، وفواكه التفاح والمشمش، وكل ما أنتجته المزارع والمصانع من مأكولات ومشروبات ومرطبات، لا نسأل من أين

جاءت؟! من حلالٍ أو حرامٍ؟!، حشونا بها بطوننا، وأمرضنا بها أجسامنا، وفي النهار أخلدنا إلى النوم والكسل، وأصبح الشعار عندنا في رمضان أن: نعمل قليلاً ونأكل كثيراً.

فما أحرانا في الشهر الكريم أن نتذكر قول الرسول ﷺ: «بحسب ابن آدم أُكُلَاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه»(١)، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٢).



(١) رواه الترمذي ٤/ ٥٩٠ (٢٣٨٠) واللفظ له، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم وصححه ٤/ ٣٦٧ (٧٩٤٥)، وغيرهما، من حديث المقدام بن معدي كرب، قال ابن حجر العسقلاني في الفتح (٩/ ٥٢٨): «حديث حسن... قال القرطبي في شرح الأسماء: لو سمع بُقْرَاط بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة، وقال الغزالي قبله في باب كسر الشهوتين من الإحياء: ذكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة فقال: ما سمعت كلاماً في قلة الأكل أحكم من هذا».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

يذكرنا شهر رمضان المعظم، بأن أعظم الغزوات الإسلامية التي غيرت وجه التاريخ، ورفعت راية الإسلام كانت فيه، كما يذكرنا بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أنزل فيه القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1].

وقد فرض الله فيه على المسلمين عبادة الصيام، كما جاء في محكم تنزيله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

فالهدف من الصيام تقوى الله، بل التقوى هي الغاية كلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

والتقوى هي الابتعاد عن الوقوع في المهاوي، فهي: الحساسية في الضمير، والشفافية في الشعور، والخشية الدائمة من الوقوع في الرذائل والمهاوي، وهي الطريق المليء بالأشواك، الذي يجب السير فيه بالحرص الكامل؛ فالتقوى إذن هي الكفيلة أن تبعد الإنسان والمجتمعات من المعوقات، فيخلو الطريق منها، فتكون الانطلاقة الصحيحة للوصول إلى الهدف الأسمى.

فإذا كان كل فرد في المجتمع يحذر الأشواك ويتقيها، فلن نجد في المجتمع ظلماً ولا أنانية ولا جشعاً ولا طمعاً ولا خضوعاً لغير اللّه، فالتقوى هي الملجأ الآمن للإنسان في حياته كلها.

ويلاحظ أن القرآن الكريم بعد أن يذكر الأمر والنهي، يعقب بطلب التقوى من العبد، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(١). فتقوى الله هي الأساس في جميع الأعمال.

وقد جعل الله رمضان فرصةً للمسلم أن يرجع إليه،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

ويطهِّر قلبه من الشوائب، ليسعد في دنياه وأخراه؛ لذلك يجب أن نحافظ على قداسة هذا الشهر، وأن نبتعد فيه عن الذنوب والآثام، ولا نكدر على المسلمين فيه مشاعرهم؛ ولذا نطلب من الفضائيات والصحف أن تتوقف عن كثيرٍ من التشويهات والإفساد، وليعلم القائمون على هذه الأجهزة الإعلامية أنهم مسئولون عن كل ما يقدم، عن طريق الوسائل الإعلامية، وسيحاسبون عليه في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونَ.

ومن المؤسف أن تزداد في هذا الشهر الكريم البرامج التي تظهر العورات، وتزيد اللهو في مثل ما يسمى بالفوازير، ولا أدري لماذا يصرون على إظهار الممثلات الكاشفات العاريات المتبرجات، في أوضاعٍ تعتبر مهينة للمرأة، وتحدياً لمشاعر المسلمين، ولا أدري لماذا لا يقال للمذيعات ومقدمات البرامج أن يسترن شعورهن وصدورهن وأذرعهن وأفخاذهن؟ فهل من لوازم الاستفادة مما يقدمن أن يكشفن عن كل شيء؟!

ومن المفارقات، أن بعض الصحف في بعض الدول العربية تصدر ملاحق تسمى (رمضانية)!! تملأها بالصور الخليعة للممثلات والغانيات!!! ولا ندري ما علاقة رمضان بهذه الصور؟!

الواقع، أننا في حيرةٍ من أحوال المسلمين في هذا الزمن، هذا الزمن الذي يجب فيه أن نكون جادين في الحياة، مهتمين بمشاكل الأمة، للخروج من الأزمة التي يعيشها المسلمون في أوطانهم؛ هناك من المسلمين من هو في حالة حربٍ مع الأعداء، وهناك من هو في حالة فقرٍ مدقعٍ، وهناك من هم في حالة فتنٍ وخلافاتٍ.

أما الذين يرون أنفسهم أنهم في بحبوحةٍ من النعيم، ويعتقدون أن حالتهم هذه ستدوم، وأنهم في نعيم مقيم، وشغلوا أنفسهم بالملاهي والملذات في هذه الحياة فهم واهمون: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1]. والإبلاس[2] هو اليأس من النجاة عند ورود الهلكة.

والمسلم عليه أن يعتقد أن لكل شيءٍ سبباً،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٢) في المبلس خمسة أقوال: **أحدها**: أنه الآيس من رحمة الله عز وجل، رواه الضحاك عن ابن عباس. **والثاني**: أنه المفتضح، قاله مجاهد. **والثالث**: أنه المهلَك، قاله السدي. **والرابع**: أنه المجهود، المكروب، الذي قد نزل به من الشر ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد. **والخامس**: أنه الحزين النادم، قاله أبو عبيدة (انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/٣٩ ـ ٤٠).

فالهلاك الذي يحلُّ بأمَّةٍ من الأمم لا بد أن يكون له سبب. أما الجهلاء، فهم الذين يقولون: إن ما أصابهم ابتلاء من الله، وأن ذلك عادة الدهر يداول الضراء والسراء بين الناس، قال تعالى عن هؤلاء الجهلة: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1].

فلماذا لا يرجع المسلمون إلى تاريخهم المجيد وعزتهم وكرامتهم، ويتركوا التقليد والمحاكاة للآخرين؟؟ فمع الأسف، إننا نقلد الآخرين في الشر ولا نقلدهم في الخير، نقلدهم فيما يعرض في التلفاز، ولا نقلدهم في صناعة التلفاز، نقلدهم في السهل ولا نقلدهم في الصعب.

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٥ ـ ٩٩.

وهذا السهل الذي نقلدهم فيه ليتنا نقتصر على تقليد ما ينفع فيه، بل يتنافس المفسدون في الضار منه، فترى بعضهم يطالب بالحرية في الفساد والدعارة، وبعضهم يطالب بإلغاء الأحكام الشرعية، التي تحكم الأسرة المسلمة، فيريد أن يمنع تعدد الزوجات، ويسمح بتعدد الخليلات، ويعقدون من أجل ذلك المؤتمرات والندوات، ولا يكترثون بما يقوله دين الإسلام، ويفرضه لمصلحة الإنسان.

فكل أحكام الإسلام هي في مصلحة الإنسانية ومن أجل الإنسان، حتى الصوم الذي فرضه الله، يمتنع فيه الإنسان المسلم عن الأكل والشرب في نهار شهر رمضان، قد تبين أن فيه فوائد صحية، إلى جانب أنه عبادة لله، فهو أولاً سبيل طهارة الجسد وسلامته، وهو أفضل الطرق للتغلب على مشاكل صحيةٍ كثيرةٍ.

وقد ألف الباحث الأمريكي (بول بريج) في ذلك كتاباً سماه (معجزة الصيام)، يثبت فيه أن أحكام الإسلام، هي السباقة دائماً في سبيل مصلحة الإنسان، في دنياه وأخراه.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1].

❀ ❀ ❀

(1) سورة المائدة، الآيتان: ٦ ـ ٧.

رَمَضَانُ وَ الْمُجْتَمَع

يأتي شهر رمضان المعظم في كل عام، فيغير فيه المسلم عادته في الأكل والشرب، ومواعيد النوم والعمل، مما يمكن أن يكون تجربةً سنويةً، لمواجهة التغيرات الطارئة في أجهزة جسم الإنسان، وفي نشاطه وتحركه اليومي، مما يعطيه مناعةً واستعداداً لكل ذلك في حياته كلها، إذ السير على وتيرةٍ واحدةٍ مدة طويلة - بلا تعديلٍ ولا تغييرٍ في حياة الإنسان، ونشاطه الجسماني والروحي -، يسبب الجمود والتصلب، إضافة إلى الملل والسآمة في حياة الإنسان.

فإذا حدثت طوارئ وتغيرات مفاجئة من غير تجربةٍ وتمرينٍ تكون الصدمة قوية، والنتائج خطيرة على الإنسان وصحته ونفسيته، ومضاعفة نشاط المسلم الروحي بالصيام والصلاة وتلاوة القرآن والصدقة، والتحرز من الوقوع في أعراض الناس، والابتعاد عن الغضب والجدل.

كل ذلك بمثابة شحنات روحية، تدفع الإنسان

المسلم إلى السموّ الروحي، وتحلّق به إلى عالم الروح، البعيد عن أوضار المادة ومستنقع الأرض، وذلك مما يجعل المجتمع المسلم مجتمعاً مثالياً، وهذا ما يهدف إليه الإسلام في تشريعاته وأحكامه.

فالتقوى التي رجاها القرآن من فرض الصيام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، هي الحساسية في الضمير، والشفافية في الشعور، والخشية الدائمة من الوقوع في المهاوي والرذائل.

فالتقوى هي الكفيلة ـ إذا غلبت في أفراد المجتمع ـ أن يخلو هذا المجتمع من أمراض المجتمعات المتكررة والمتفاقمة والخطيرة.

ولست أعني هنا أن يتحول البشر إلى ملائكة، والوحوش إلى حملان وديعة، ولكن عندما تعرف الأغلبية طريقها الصحيح، وتتصف بسمو الهدف، يكون القادة من الأتقياء، الذين يقودون الأمة إلى طريق الخير والفلاح، وترفرف رايات العدل على المجتمع الطاهر المتكامل، وتكون هناك الجماعة التي تدعو إلى الخير،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

وتأمر بالمعروف، ولا سلطان لأحدٍ عليها إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فشهر رمضان فرض الصيام فيه، ليكون الدعامة الكبرى في تكوين الشخصية الإسلامية القوية، فيتحقق بذلك الهدف الأسمى في إصلاح المجتمعات، لتكون على منهاج الله، وموجهة إلى ما يحمد عنده في الدار الآخرة.

وهو تدريب على المشقة وقوة الاحتمال، والصبر على المكاره، ولذلك سماه رسول الله ﷺ: بـ«**شهر الصبر**»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وَحَر الصدر». (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، ورواه أحمد ٥/ ٣٦٣ (٢٣١٢٠)، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٤٩٧ (٦٥٥٧)، والبيهقي «السنن الكبرى» ٦/ ٣٠٣ (١٢٥٢٩)، الثلاثة من حديث الأعرابي، ولم يسموه. ورواه البزار أيضاً من حديث علي «المسند» ٢/ ٢٧١ (٦٨٨). **شهر الصبر**: هو رمضان. **ووحر الصدر**: هو بفتح الواو والحاء المهملة بعدهما راء، هو: غشه وحقده ووساوسه) اهـ. قاله المنذري (في الترغيب والترهيب ٢/ ٧٥).

وقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لا يتوقفون فيه عن مواصلة جهادهم وكفاحهم، فهو عندهم شهرُ عملٍ وكفاحٍ وجهادٍ مضاعف، لا شهر استرخاءٍ وكسلٍ، ولذلك قامت فيه أعظم الغزوات الإسلامية التي غيرت وجه التاريخ.

وإذا كان هناك فوائد صحية للجسم تعود عليه من الصيام ـ كما هو معروف ـ ، فإن هناك فوائد معنوية يعم نفعها على الفرد والمجتمع، فالمسلم عندما يصوم إنما يمارس رياضة في الأخلاق والضمير والحس والذوق، ويتدرب على مقاومة المغريات والشهوات والأهواء، وكل ما يؤدي بالإنسان والمجتمع إلى الفساد.

فمن حكم الصيام التدرب على حمل الأمانة ومشاقها، فهي لكبرها وعظم مسئوليتها تتطلب تدريباً مستمراً على تحملها، ومن ثم ينجح المجتمع المسلم في تحمل أمانته التي هيأها الله له، لينجح بعدها في قيادة الأمم، بعدما نجح في قيادة أفراده إلى ما يحبه الله ويرضاه، فيحقق معنى الأمة المصطفاة، والمعنية بقيادة البشرية، والشهادة عليهم يوم القيامة.



اِغْتِيَالُ رَمَضَان

في مجلة الوعي الإسلامي الكويتية لشهر رمضان، موضوعٌ يثير الحزن والأسى على شهر رمضان المبارك، بعنوان: (إنهم يغتالون رمضان).

فمن هم الذين يغتالون شهر رمضان المبارك من وجهة نظر الكاتب فهمي الإمام؟

بعد أن كتب مقدمة عن شهر رمضان عند المسلمين في السابق، وكيف يقومون ليله ويصومون نهاره، ويعتبر عندهم موسم عبادة خاصة، قال الكاتب: «ولكن هناك مؤامرة تتصاعد عاماً بعد عامٍ للنيل من رمضان ـ ليس بالفطر فيه جهاراً، أو عدم الالتزام بآدابه، أو اعتباره سبباً لسوء الخلق، كما يحلو للبعض أن يقول: اعذره في فحشه لأنه صائم !! وكل ذلك موجود ـ؛ لكن المؤامرة التي نعنيها هي تلك التي تنفذها أجهزة الإعلام، ممثلة في التلفاز والإذاعة والصحافة اليومية.

في التلفاز مع الإفطار تطالعك فوازير رمضان، التي تشد الصغير والكبير، وتظهر على الشاشة المتواجدة في كل بيتٍ صورةُ امرأةٍ تتفنن في الحركة المثيرة والسريعة، ويعمل الإخراج عمله في الإضاءة، والتقاط الصورة، وترتدي صاحبة الفوازير من الثياب ما يأخذ بلباب الرجال والنساء على السواء، وتدور الفوازير حول شخصية فنانٍ، أو راقصٍ، أو ماجنٍ، أو ما شابه، وتحاول أنت ـ صاحب البيت ـ أن تحث أولادك على القيام لصلاة المغرب، فلا يستجيبون لك، وإذا قاموا قاموا كارهين، وإذا كان في البيت فيديو فلا بد من تسجيلها، لعرضها مراتٍ ومرات، وتضيع آثار رمضان.

وفي الليل يحلو السهر لمشاهدة التمثيليات والأفلام، أما العبادة ومدارسة القرآن فلا وقت لها، وفي الإذاعة تسليات للصائم، عن طريق النكتة الساخرة البذيئة، والتمثيلية المسيئة، والدراما الهازلة، ولا تجد إلا القليل الذي يفيد الصائم، الذي يختارون له وقتاً ميتاً، ويعرضونه بصورة منفرة، والسهرات عبارة عن لقاءات مع أصحاب ميولٍ خاصةٍ. . . **أليس مؤامرة؟**.

وفي الصحافة اليومية حديث عن المائدة في

رمضان، وكأننا نأكل في سبعة أمعاءٍ لا معي واحد[1]، ولقاء مع الفنانة الشهيرة، وحديث مع الممثل الكوميدي، وكأن هذا من مستلزمات رمضان!!

والمسابقات والفوازير، والشركات المتنافسة في تقديم الهدايا لمن يفوز، تشغل الناس عن أهداف رمضان.

ألم نقل إنهم يغتالون رمضان؟

فهل من خطة يضعها المسئولون في الدول الإسلامية لأجهزة الإعلام والصحافة؟ من أجل العمل في تيارٍ يخدم الصائم، ويقدم له زاداً من المعرفة، يعود عليه بالنفع في حياته العملية؟ وساعتها يكون رمضانُ

(١) روى البخاري ٥/ ٢٠٦١ (٥٠٧٨) ومسلم ٣/ ١٦٣١ (٢٠٦١) وغيرهما، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «المؤمن يأكل في مِعىً واحدٍ والكافر يأكل في سبعة أمعاءٍ».
قال النووي: «قال أهل الطب: لكل إنسان سبعة أمعاء: المعدة، ثم ثلاثة متصلة بها رفاق، ثم ثلاثة غلاظ، فالكافر لشرهه وعدم تسميته لا يكفيه إلا ملؤها، والمؤمن لاقتصاده وتسميته يشبعه ملء أحدها... قال العلماء: ومقصود الحديث: التقلل من الدنيا والحث على الزهد فيها، والقناعة، مع أن قلة الأكل من محاسن أخلاق الرجل وكثرة الأكل بضده» (شرح مسلم ١٤/ ٢٤ ـ ٢٥).

مدرسةً يتخرج فيها الصائمون بأخلاق إسلامية تحكمهم طوال العام، فيمتد الأثر الطيب إلى ما بعد رمضان، ولا يكون الحال مجرد حديث شيخٍ، يزول أثره مع آخر كلمة ينطق بها الشيخ، بسبب ما يعقب الحديث من برامج هادمة لكل ما قال!!

نريد خطةً ذات هدفٍ واضحٍ تنسجم مع رمضان ومع ديننا الحنيف» اهـ

وتعليقي على هذا هو: إن صرف المسلمين عن العبادة في رمضان من فعل شياطين الإنس، لأن شياطين الجن مقيدون في رمضان، ولا يستطيعون أن يقوموا بأي عمل.

فكيف نقيد شياطين الإنس[1]؟

فقد درج الناس أن يَصِفوا كل من أجهد نفسه ـ في إغواء المسلمين، وأثار الغرائز، وحرم العباد من ثواب

---

(١) يقول ابن حجر في «فتح الباري»: (قال القرطبي: فإن قيل: كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه. أو: المصفد بعض الشياطين، وهم المردة، لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات. أو: المقصود تقليل الشرور فيه، وهذا =

الله - أنه مبدع !!، والمرأة التي تتحلى بكامل زينتها - وتظهر مفاتنها، وتقوم بدغدغة غرائز الجمهور، وتفتح صدرها ونحرها، وتنفش شعرها، وتظهر كل يوم في موضة جديدة أنها قمة في العطاء !!.

ولا أدري ما هو هذا العطاء؟.

فهل يستطيع المسئولون التخفيف من هذه المظاهر في رمضان على الأقل؟

المعروف في شرع الإسلام أن ظهور شعر المرأة ونحرها من المحرمات بإجماع المسلمين، ولم يقل أحدٌ منذ بُعثَ محمدٌ ﷺ إلى اليوم أن شعر المرأة ونحرها مما يجوز إظهاره، وحرَّم ذلك القرآن والسنة، فكيف نقول إننا مسلمون، ونحن نخالف الإسلام في المعلوم من الدين بالضرورة؟! وفي إمكاننا أن نتلافى ذلك؟!.



= أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره. إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسباباً غير الشياطين، كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية» (فتح الباري للعسقلاني ٤/ ١١٤).

فَضْلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَقِيَامِهَا

ليلةُ القدرِ لها فضلٌ كبيرٌ، فقد نزل فيها القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[(١)].

والقدرُ هو المقامُ والشرفُ، فهي أفضل من ألفِ شهرٍ، أي أفضل من ثلاثة وثمانين سنةٍ وأربعة أشهرٍ تقريباً[(٢)]، وتنزل فيها الملائكة بالرحمة والسلام والبركة من الله.

وقال عليه الصلاة والسلام ـ كما في صحيح البخاري ـ : «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٣)].

---

(١) سورة القدر، الآيات: ١ ـ آخرها).

(٢) أي أن قيامها والعمل فيها خيرٌ من قيام ألف شهر وصيامها، ليس فيها ليلة القدر. (زاد المسير لابن الجوزي ٩/ ١٩١).

(٣) رواه البخاري ٢/ ٦٧٢ (١٨٠٢)، ومسلم ١/ ٥٢٣ (٧٦٠) وغيرهما، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، من حُرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم»[١]، وهي بلا ريبٍ في شهر رمضان.

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة أنها في العشر الأواخر، ومنها الحديث المتفق عليه عن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان (أي يعتكف في المسجد)، ويقول: «تحروا ليلةَ القدرِ في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ»[٢].

وعن أبي سعيدٍ الخدري ـ ﵁ ـ: أن رسول الله ﷺ كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاماً، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال: «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد أريت هذه الليلة ثم

---

(١) رواه ابن ماجه ١/ ٥٢٦ (١٦٤٤) من حديث أنس بن مالك ﵁، قال المنذري: «إسناده حسن إن شاء الله تعالى» (الترغيب والترهيب ٢/ ٦٠).

(٢) رواه البخاري ٢/ ٧١٠ (١٩١٦) وغيره.

أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر»[١].

فهو عليه الصلاة والسلام يعتكف في العشر الأواخر في المسجد، يتلمس ليلة القدر.

ويرى أُبَيُّ بن كعبٍ وابنُ عباسٍ رضي الله عنهما أنها ليلة السابع والعشرين.

والصحيح أنه لا يقين في تعيينها، وأنها تنتقل ولا تثبت[٢]، ليجتهد المسلم في العبادة وتحصيل الثواب فيها، فتُلتمس في أوتار العشر الأواخر من رمضان،

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٧١٣ (١٩٢٣) واللفظ له، ومسلم ٢/ ٨٢٤ (١١٦٧) وغيرهما.

(٢) قال أبو قلابة: «إنها تنتقل في ليالي العشر» (انظر: المغني لابن قدامة ٣/ ٦٢)، وقال النووي: «وقال إمامان جليلان من أصحابنا ـ وهما: المزني وصاحبه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ: إنها متنقلة في ليالي العشر، تنتقل في بعض السنين إلى ليلة وفي بعضها إلى غيرها. جمعاً بين الأحاديث، وهذا هو الظاهر المختار، لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك كما سنوضحه إن شاء الله تعالى، ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها» (المجموع ٦/ ٤٩٠).

وهي للمسلمين عامة لكل من يطلبها، ويبغي خيرها بالعبادة والطاعة والصلاة وقراءة القرآن والدعاء والصدقة وصلة الأرحام وفعل الخيرات.



زَكَاةُ الْفِطْر

الذي لا يؤدي زكاة الفطر يأثم لأنها واجبةٌ، والدليل على وجوبها الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمرٍ أو صاعاً من شعيرٍ، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين...»(١).

وعن أبي سعيدٍ الخدري قال: «كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله ﷺ عن كل صغير وكبير حر أو مملوك صاعاً من طعامٍ، أو صاعاً من أقطٍ، أو صاعاً من شعيرٍ، أو صاعاً من تمرٍ، أو صاعاً من زبيبٍ...»(٢).

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٥٤٧ (١٤٣٢) واللفظ له، ومسلم ٢/ ٦٧٧ (٩٨٤) وغيرهما، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري ٢/ ٥٤٨ (١٤٣٥)، ومسلم ٢/ ٦٧٨ (٩٥٨) واللفظ له، وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

والمراد بالطعام هنا: الحنطة[١]، والأَقِط: لبن يابس غير منزوع الزبد[٢].

وخبر ابن عباسٍ قال: «فرض رسول الله - ﷺ - زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[٣].

فالواجب إخراج صاع من غالب قوت البلد من أرزٍ أو بُرٍّ أو تمرٍ أو غيره، ومقداره بالكيلو ثلاثة كيلوجرام على سبيل التقريب.

وهي تجب على الكبير والصغير، والذكر والأنثى، ومن تلزمه فطرة نفسه تلزمه فطرة من تجب عليه نفقته[٤]، بقرابةٍ - كوالديه الفقيرين، أو زوجته - إذا كانوا مسلمين -.

---

(١) انظر (شرح مسلم للنووي ٧/ ٦٠).

(٢) قاله محمد العظيم آبادي في (عون المعبود شرح سنن أبي داوود ٥/ ١٢).

(٣) رواه أبو داود ١/ ٥٠٥ (١٦٠٩)، وابن ماجة ١/ ٥٨٥ (١٨٢٧)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٥٦٨ (١٤٨٨)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، (وقد أجمع العلماء على وجوب صدقة الفطر) كما في (المجموع ٦/ ٦٣).

(٤) انظر (مغني المحتاج للشربيني ٢/ ١١٥).

وتجب ـ عند الجمهور[١] ـ بغروب شمس ليلة عيد الفطر، أي أول ليلة العيد، ويجوز عند المالكية[٢] والحنابلة[٣] تقديمها قبل العيد بيوم أو يومين لا أكثر من ذلك، وعند الشافعية يجوز تعجيلها وتقديمها من أول شهر رمضان[٤].

وأما تأخيرها، فقال المالكية[٥]: يجوز إخراجها بعد صلاة العيد يوم الفطر، ويأثم إن أخرها عن يوم الفطر، وتبقى في ذمته حتى يخرجها كغيرها من الفرائض.

وعند الشافعية: المستحب ألا يؤخرها عن صلاة

---

(١) وهو معتمد مذهب الشافعية كما في (مغني المحتاج للشربيني ٢/ ١١٢)، والحنابلة كما في (كشاف القناع للبهوتي ٢/ ٢٥٢)، وأحد قولين مشهورين عند المالكية كما في (مواهب الجليل للحطاب ٢/ ٣٦٨)، وذهب الحنفية إلى أنها تجب عند طلوع الفجر من يوم الفطر كما في (المبسوط للسرخسي ٣/ ١٠٣)، وهو قول للمالكية.

(٢) انظر (حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ١/ ٥١٥).

(٣) انظر (كشاف القناع ٢/ ٢٥٣).

(٤) انظر (فتوحات الوهاب لسليمان الجمل ٢/ ٢٧٤).

(٥) كما في (حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ١/ ٥١٥).

العيد، فإن أخرت استحب الأداء أول النهار، ويحرم تأخيرها عن يوم العيد بلا عذر.

والحنابلة[١] مثل الشافعية[٢] في ذلك.

ويجوز إخراج القيمة عند الحنفية[٣]، وقال بعض العلماء: يراعى الأصلح للفقير ورغبته، فإذا كانت مصلحته في القيمة أخرجت القيمة.



(١) انظر (كشاف القناع ٢/ ٢٥٣).
(٢) انظر (مغني المحتاج للشربيني ٢/ ١١٣).
(٣) انظر (المبسوط للسرخسي ٣/ ١٠٨).

قَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ فِي الْعِيد

من السنة الحميدة أن يتواصل المسلمون، ويهنئ بعضهم بعضاً بالأعياد، ويتزاورون، وخاصة الأصدقاء والأقارب، وتوصل الأرحام.

وأما قطيعة الرحم فهي معصيةٌ كبيرةٌ وذنبٌ عظيمٌ.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾(١).

وقال: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾(٢).

---

(١) سور محمد، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(١)، أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها(٢).

وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾(٣).

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»(٤).

وروى البخاري: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»(٥).

وروى أبو داود(٦) والترمذي(٧) قال ﷺ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) انظر (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢/ ٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) رواه البخاري ٥/ ٢٢٣١ (٥٦٣٨)، ومسلم ٤/ ١٩٨١ (٢٥٥٦) واللفظ له، وغيرهما، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري ٥/ ٢٢٧٣ (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) ١/ ٥٣٠ (١٦٩٤).

(٧) ٤/ ٣١٥ (١٩٠٧) واللفظ له من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث صحيح.

«قال الله تبارك وتعالى: أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»[١].

وعن علي بن الحسين أنه قال لولده: «يا بني لا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع»[٢].



---

(١) قال المنذري: «وفي تصحيح الترمذي له نظر فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا» (الترغيب والترهيب ٣/ ٢٣٠).

(٢) رواه أبو نعيم في (الحلية ٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق ٥٤/ ٢٩٣)، وذكره الذهبي في (الكبائر ١/ ٤٧).

صِيَامُ السِّتِّ مِنْ شَوَّال

من السنة صيام ست من شوال(١)، لما صح عن النبي ﷺ - فيما رواه مسلم(٢) وأبو داود(٣) والترمذي(٤)، وابن ماجة(٥)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه -: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوالٍ كان كصيام الدهر».

وانفرد الإمام مالك رضي الله عنه بالقول بكراهة صيام هذه الأيام الستة(٦)، خشية أن يعتقد الناس أنها جزءٌ من

---

(١) (صوم ستة أيام من شوال مستحب عند كثير من أهل العلم). قاله ابن قدامة في (المغني ٣/ ٥٧).

(٢) ٢/ ٨٢٢ (١١٦٤) واللفظ له.

(٣) ١/ ٧٤٠ (٢٤٣٣).

(٤) ٣/ ١٣٢ (٧٥٩).

(٥) ١/ ٥٤٧ (١٧١٦).

(٦) قال مالك: (إني لم أر أحداً من أهل العلم والفقه يصومها، ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته وأن يُلْحِقَ برمضان ما ليس منه أهلُ الجهالة =

رمضان، فكرهها مالك من باب سد الذرائع. ولكن ما دام صح الحديث بصومها فلا مجال للرأي، وإن اعتقد بعض الناس ووقع في مثل ذلك - كبعض العجم - كما ذكر الشاطبي[١]، فهذا ليس حجة في ترك السنة.

وإذا كان الإمام مالك قد قال بالكراهة فهذا اجتهادٌ منه، وقد قال هو نفسه رضي الله عنه: «ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم»[٢].

وهناك مسألة: هل صيام الست تكون ملحقة مباشرة برمضان، بحيث يبدأ صومها من اليوم التالي للعيد، كما تدل عليه كلمة «أتبعه»؟ أم يمكن أن تكون في وسط شوالٍ أو آخره باعتبار أن شوال كله تابعاً لرمضان؟

= والجفاء لو رأوا في ذلك خفته عند أهل العلم ورأوهم يعملون ذلك). (المنتقى شرح الموطأ للباجي ٢/ ٨١)، وقال ابن عليش المالكي مقرراً مذهب المالكية في هذه المسألة: (فيكره لمقتَدَىً به متصلةً بيوم العيد متتابعة مُظْهَرَةً معتقداً سنية وصلها وإلا فلا يكره) (منح الجليل شرح مختصر خليل ٢/ ١٢٢).

(١) انظر (الموافقات ٣/ ٣٢٥).

(٢) انظر (الموافقات ٤/ ١٦٩).

هنا اختلف الفقهاء[١]، لكن لو فرقها فلا حرج عليه، المهم أن تكون في شوال.

والحمد لله رب العالمين
وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الأمين
وآله الطاهرين وأصحابه المتقين
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين



---

(١) مذهب الحنفية أنه يستحب ويسن الإتباع مباشرة كما في (بدائع الصنائع للكاساني ٢/ ٧٩)، ومذهب الشافعية أيضاً يستحب صومها في أول شوال متتابعة كما في (المجموع للنووي ٦/ ٤٢٨)، ومذهب الحنابلة أنه لا فرق بين التفريق أو التتابع في صومها كما في (المغني لابن قدامة ٣/ ٥٨)، ومذهب المالكية أن التتابع مكروه كما في (منح الجليل لابن عليش ٢/ ١٢٢).

اَلْمَرَاجِع

(١) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣هـ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٢) **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، للإمام زين الدين بن إبراهيم ابن نجيم الحنفي، دار الكتاب الإسلامي.

(٣) **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية.

(٤) **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة دار البيان ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

(٥) **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، للإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

(٦) **تاريخ دمشق**، للإمام أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، تحقيق: علي شيري.

(٧) **تفسير القرآن العظيم**، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مؤسسة الريان ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ.

(٨) **تفسير القرطبي**، للإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، أبي عبد الله، دار الشعب ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

(٩) **تهذيب سيرة ابن هشام**، لعبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤٠٥هـ.

(١٠) **الجامع الصحيح المختصر**، للإمام محمد بن إسماعيل، أبي عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.

(١١) **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، للإمام محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

(١٢) **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني**، للإمام علي الصعيدي العدوي المالكي، دار الفكر.

(١٣) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للإمام أبي نعيم أحمد ابن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

(١٤) **الدر المنثور**، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت، ١٩٩٣م.

(١٥) **رياض الصالحين**، للإمام يحيى بن شرف النووي، مؤسسة الريان - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ.

(١٦) **زاد المسير في علم التفسير**، للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

(١٧) **سنن ابن ماجة**، للإمام محمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٨) **سنن أبي داود**، للإمام سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب: تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

(١٩) **سنن البيهقي الكبرى**، للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

(٢٠) **شعب الإيمان**، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٢١) **صحيح ابن حبان**، للإمام محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، (بترتيب ابن بلبان)، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

(٢٢) **صحيح ابن خزيمة**، للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة أبي بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ١٣٩٠هـ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.

(٢٣) **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢٤) **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي أبي الطيب، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

(٢٥) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للإمام أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢٦) **فتح المنان شرح زبد ابن رسلان**، للإمام محمد بن علي بن محسن، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة الثانية، مراجعة: عبد الله الحبشي.

(٢٧) **فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل**، للإمام سليمان بن منصور العجيلي المصري الجمل الشافعي، دار الفكر.

(٢٨) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للإمام عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، تعليق: ماجد الحموي.

(٢٩) **الكبائر**، للإمام محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة ـ بيروت.

(٣٠) **كشاف القناع عن متن الإقناع**، للإمام منصور بن يونس البهوتي الحنبلي، دار الكتب العلمية.

(٣١) **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي، دار الفجر للتراث ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد سيد.

(٣٢) **المبسوط**، للإمام محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي، دار المعرفة.

(٣٣) **المجموع شرح المهذب**، للإمام يحيى بن شرف النووي الشافعي، مطبعة المنيرية.

(٣٤) **المستدرك على الصحيحين**، للإمام محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

(٣٥) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة ـ القاهرة.

(٣٦) **مسند البزار**، للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.

(٣٧) **المغني**، للإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد المعروف بابن قدامة الحنبلي، دار إحياء التراث العربي.

(٣٨) **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، للإمام محمد بن أحمد الشربيني الخطيب الشافعي، دار الكتب العلمية.

(٣٩) **المنتقى شرح الموطأ**، للإمام أبي الوليد سليمان ابن خلف الباجي الأندلسي المالكي، دار الكتاب الإسلامي.

(٤٠) **منح الجليل شرح مختصر خليل**، للإمام محمد بن أحمد بن محمد أبي عبد الله المعروف بالشيخ عليش، دار الفكر.

(٤١) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٤٢) **الموافقات في أصول الفقه**، للإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.

(٤٣) **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، للإمام محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكي، دار الفكر.



فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَات